منهجية وضع المصطلحات الطبية

الدكتور صادق الهلالي
مركز الملك فهد للبحوث الطبية
جامعة الملك عبد العزيز
ـــ المملكة العربية السعودية ـــ

خطت عملية وضع المصطلحات العلمية العربية، في كل مناحي المعرفة، في العصر الحديث خطوات واسعة. وحظي الحقل الطبي باهتمام خاص توج مؤخرا بظهور المعجم الطبي الموحد [1] بإشراف مجلس وزراء الصحة العرب ومنظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أعدادا متفرقة من المصطلحات الطبية ضمن مجموعات المصطلحات العلمية والفنية [2]. ثم أصدر معجم المصطلحات الطبية [3] في عام 1985 م. ونشر المجمع العلمي العراقي مجموعات من هذه المصطلحات [4] في مجموعاته التي صدرت بين عامي 1982 ـ 1985. كما استمر مجمع اللغة العربية بدمشق بنشر مجموعاته في مجلته العتيدة.

وبالاضافة لذلك وضع العديد من الباحثين والمؤلفين والمترجمين الكثير من المصطلحات الطبية سواء كمجموعات متفرقة أو كمعاجم متكاملة أو كمسارد ألحقت بمؤلفاتهم أو ترجماتهم، فأضافوا بذلك إلى التراث المصطلحي الغزير الذي خلفه لنا رواد التعليم الطبي العربي سواء في القصر العيني بمصر، أو في كلية طب الجامعة السورية. وتجمعت نتيجة كل ذلك مجموعات كبيرة من هذه المصطلحات، خصوصا في علوم الطب العام مما فاضت عن الحاجة الأساسية. وبالرغم من ذلك فهناك متسع من المجال لوضع المزيد منها في حقول الاختصاصات الطبية الفرعية الدقيقة.

وقد رافق هذا الحماس في وضع المصطلحات فيض من الدراسات والقرارات التي تنير طريق منهجية وضعها. فقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجموعة من القرارات التي تضع الأسس والقواعد التي ترشد عملية صياغة المصطلحات وتعريبها [5]. وقد زخرت صفحات مجلة اللسان العربي بالعديد من بحوث عدد من الأساتذة الأفاضل المهتمين بمنهجية وضع المصطلحات العلمية (انظر مثلا 6 ـ 12) فصلت

الكثير من الأسس والقرارات والتوصيات والملاحظات حول أسلوب صياغة المصطلح العلمي بصورة عامة. ومن الممكن إيجاز المبادىء الرئيسية التي ينصح باتباعها بما يلي :

1 — على كل من يتصدى لوضع المصطلحات العلمية وتعريبها أن يكون ملما إلماما جيدا باللغة التي ينقل منها وعلى معرفة كافية باللغة العربية وقواعدها. كما يتوجب عليه أن يكون متمرسا في موضوع المصطلحات التي يعاملها. فواضعي مصطلحات فروع الطب الاختصاصية يجب أن يكونوا من ممارسي هذه الاختصاصات والعاملين فيها والملمين بمفاهيم اصطلاحاتها، ولا يكفي أن يكونوا مجرد أطباء عامين غير متخصصين بهذه الفروع. كما ثبت أيضا أن تعاون اختصاصي هذه العلوم مع اللغويين من غير حقول العلم لم يثمر نتائج ناضجة ودقيقة.

2 — من الواجب درس المصطلح الأجنبي دراسة وافية والتعرف على مدلوله العلمي ومفهومه الدقيق ومعناه الاصطلاحي الخاص المستعمل في حقل الاختصاص قبل الاقدام على وضع مرادفه العربي. ولا ينصح أبدا ترجمة المصطلح ترجمة حرفية أو استعمال مرادفاته الموضوعة لدلالات خاصة في حقول اختصاصات علمية أخرى التي قد تكون لها مدلولات مغايرة.

3 — يوضع المصطلح العربي بالاستعانة بكل الوسائل اللغوية المرنة التي تتمتع بها اللغة العربية وذلك باللجوء إلى القياس والاشتقاق والتركيب والمجاز والاقتراض والنحت والاقتباس اللفظي والتضمين على أن تتبع في كل ذلك منهجية منسقة ومتجانسة في كل مفردات المجموعة الموضوعة وبالاستعانة بقواعد اللغة العربية وصرفها. وقد أقرت المجامع اللغوية العربية العديد من الأسس والجوازات التي يمكن اتباعها. كما ساهم الكثير من الباحثين في هذا الحقل في تثبيت أهم الأسس التي نصحوا باتباعها. وقد أفردت معظم المعاجم العلمية في مقدماتها أبوابا مستفيضة بالاسلوب والمنهجية المتبعة فيها.

ولعل أهم ما ركز عليه معظم هؤلاء الباحثون هو الاهتمام بالترجمة الدقيقة والمنسقة لسوابق المصطلحات الأجنبية ولواحقها، سواء تلك الملحقة بجذور الكلمات أو المركبة مع بعضها.

4 — أكد جميع الباحثين على ضرورة وضع مصطلح واحد مقابل نظيره الأجنبي وحذروا من تعدد المرادفات العربية. كما أنهم أكدوا على استعمال اللفظ العلمي الواحد لمدلول واحد فقط وعدم استعماله للدلالة على مصطلح أو مصطلحات علمية مختلفة أخرى.

5 — ولا يفضل استعمال ألفاظ شائعة أو إقليمية لها دلالات محلية وفي الوقت نفسه يحبذ استعمال المصطلحات العلمية الشائعة الصحيحة والمتعارف عليها بدلا من استعمال ألفاظ غريبة ومهجورة واجتناب استعمال الألفاظ النافرة والغريبة. ومن المهم إحياء الألفاظ الاسلامية والعربية الأصيلة.

6 — لا يشترط أن يستوعب المصطلح العلمي الموضوع كل معنى مفهوم المصطلح الأجنبي، من الممكن وضع أقرب الألفاظ لمدلوله. ويفضل استعمال كلمة موجزة واحدة ومن الممكن الاجتزاء بغرض وضع مصطلح بكلمة واحدة بدلا من كلمتين أو أكثر. وهذا يؤكد عدم ضرورة احتواء المصطلح الموضوع كل معنى مفهوم نظيره الأجنبي.

7 ــ وفي كل الأحوال يجب ملاحظة التناسق بين اللفظ العربي الموضوع مع ما يقابله من الأجنبي، إذ يجب مراعاة الأصول الأجنبية مع ما يقابلها من أصول عربية. ومن الضروري مراعاة مصدر الكلمات الأجنبية واشتقاقاتها من مختلف اللغات المأخوذ منها.

8 ــ في حالة تعذر ترجمة المصطلح أو إيجاد مقابل عربي له يلجأ إلى التعريب، على أن يعرب بلفظه الصحيح وكما ينطقه أهلوه. وتتضمن قائمة الكلمات التي يجب تعريبها بلفظها الأصلي أسماء الأعلام والكلمات الشائعة في العالم ومختصرات العناوين التي شاعت عالميا. وفي كل الأحوال لا تعرب الكلمات التي يمكن إيجاد ترجمات عربية مناسبة لها، إذ يفضل المصطلح العربي الأصيل على المعرب أو الأجنبي. وقد وضع العلماء الباحثون قواعد وأصول لتعريب الكلمات الأجنبية ولواحقها ومن الممكن قبول مبدأ تعدد قواعد التسمية في التعريب.

9 ــ يجب أن لا يلجأ إلى النحت إلا عند الضرورة القصوى.

10ــ من المهم جدا عدم وضع مصطلحات جديدة ومغايرة في الوقت الذي تتوفر فيه مصطلحات صحيحة ومقبولة وشائعة.

هذه أهم ما وصلنا من توصيات من مجامعنا وعلمائنا ولكن كم منا ومن المصطلحيين والمعربين والمترجمين والمؤلفين التزم بها ونفذها ؟ ولهذا يصبح لزاما علينا من أن نستعيدها دوما ونذكر بها ونؤكد على الالتزام بتطبيقها في كل أعمالنا حرصا على تنسيق عملية التعريب ووقاية طلابنا وزملائنا ودارسي علومنا من التشويش والبلبلة. ومن يستعرض معاجمنا ومفردات المصطلحات التي تضعها مختلف الهيئات والمنظمات والمجامع يجد تباينا شاسعا في الكثير مما ينشر منها. فقد يتعلم الطالب مثلا في دراسته قبل الجامعية بعض المصطلحات المستقاة من المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام [13] بشكل معين ليجده بشكل آخر عند دراسته الجامعية. بل والأمر من ذلك أن يجد الطالب أن بعض المصطلحات التي يتعلمها في علم ما تختلف اختلافا بينا عما هي عليه عندما يتعلمها في علم آخر مجاور. فقد ظهرت بعض المصطلحات في جزء علم الحيوان من المعجم الموحد تختلف عما هي عليه في جزء علم النبات من المعجم نفسه، بالرغم من أنها ترجمات لنفس المصطلحات ولها معنى واحد في العلمين، كما أنهما يختلفان في الوقت نفسه عما ترجمت إليه في المعجم الطبي الموحد[1]. فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عدم التنسيق بين واضعي هذه المجموعات، ولا يخفى ما في ذلك من تشويش وبلبلة ونفور لدى دارسي هذه العلوم.

وقد نشطت في الفترة الأخيرة حركات التأليف والترجمة والتعريب في العلوم الطبية المختلفة، الأساسية منها والسريرية، وبالرغم من ظهور المعجم الطبي الموحد فلا زالت هناك اختلافات كثيرة في المصطلحات المستعملة في العديد من النشريات وخصوصا في الترجمات العربية المختصرة التي تتصدر البحوث الطبية التي تنشر باللغات الأجنبية في المجلات الطبية والعلمية التي تصدر في بلداننا العربية. كما أن هناك الكثير من المصطلحات الطبية الجديدة التي تنشر هنا وهناك التي تجانب التوصيات الموجزة المذكورة آنفا، أو تلك التي تنقصها الدقة العلمية المطلوبة مما يستدعي إبداء الملاحظات التي قد تساعد على تصحيح خطى مسيرتنا في هذا الحقل العلمي المهم تمهيدا لتعريب تعليمنا الطبي في الأجل القريب إنشاء الله.

ومن الممكن إيجاز هذه الملاحظات فيما يلي من النقاط :

1 ــ **الدقة العلمية** : من الملاحظ ورود الكثير من الترجمات لبعض المصطلحات التي تفتقر إلى الدقة العلمية دون مراعاة معناها العلمي الخاص. فقد ترجمت كلمة Absence مثلا في أحد المعاجم الطبية إلى «غياب»، وقد يكون هذا هو المعنى اللغوي العام للكلمة فقد تعني مثلا الغياب عن الحضور أو عن الدوام ولكنها في الطب تعني فقدان الوعي، كما يحدث في نوبات الصرع مثلا، وكان من الأصوب ترجمتها إلى «غيبوبة» أو «سبات». وقد ترجمت كلمة Potential إلى «كمون» أو «كامن»، وهذان معنيان عامان للكلمة ولكنها في لغة العلم تعني «الجهد» كالجهد الكهربائي للعصب أو لعضلة القلب، ومنها جاء اصطلاح «جهد الفعل» للعصب أو لعضلة القلب ــ كما ركب منه مصطلحات أخرى مثل Potentiometer الذي يعني «مقياس الجهد الكهربائي» ولا تعني «مقياس الكامن». وترجم أحد المجامع كلمة Neurilemma بـ «الليفة العصبية» وهذه ترجمة لمصطلح Nerve Fibre والترجمة الصحيحة يجب أن تكون «غمد الليف العصبي» كما ورد في المعجم الطبي الموحد، وهذا خطأ ناتج عن عدم التأكد من المعنى العلمي الصحيح للمصطلح. كما أورد أحمد الخطيب (6) مثلا على عدم الدقة في ترجمة مصطلح Reaction في بعض الترجمات.

كما أن هناك بعض الترجمات التي تجانبها الدقة العلمية بشكل آخر. فقد ترجم المصطلحان Isotonic contraction و Isometric Contraction بـ «التقلص اللاتوتري والتقلص اللاتقصري» على التوالي. هذه الترجمة تعني أن العضلة تتقلص من دون توتر أو من دون أي تقصير في طولها. في الواقع ان العضلة تتقلص في الحالة الأولى وفيها بعض التوتر و لكنه يبقى ثابتا من دون تغيير ولذلك كان الأصح أن يترجم المصطلح كما يعنيها مقابلها الأجنبي إلى «تقلص متساوي التوتر». وفي الحالة الثانية تتقلص العضلة من دون تغيير في طولها ولذلك كان يجب أن يترجم مصطلحها إلى «تقلص متساوي الطول». فالدقة تقتضي معرفة المفهوم من المصطلح الأجنبي وعدم ترجمته حرفيا فعندما نقول Afferent or Efferent nerve فلا يعني ذلك أنه عصب وارد إلى أو صادر من الجهاز العصبي المركزي، إنما يقصد منه أنه عصب يورد المعلومات الحسية إليه أو يصدر الأوامر الحركية منه ولذلك يكون من الأصوب ترجمتهما إلى «عصب مورد وعصب مصدر».

ولذلك يجب معرفة مفهوم المصطلح ودلالته قبل وضع ترجمته.

2 ــ هناك نوع آخر من الالتباس في الدقة العلمية، وهو وضع ترجمة علمية واحدة للمصطلح الأجنبي رغم أن له أكثر من دلالة علمية. فمثلا، وضعت كلمة «لمعة» كترجمة لمصطلح Lumen، وهذه ترجمة علمية صحيحة لتعني الوحدة الضوئية، ولهذا المصطلح معنى آخر وهو «تجويف الأنبوب» كتجويف الأوعية وتجويف الامعاء، ولذلك كان الأصح وضع كلمة «تجويف» أو «تجويف الأنبوب» بجانب المعنى الأول. وكذلك الحال لكلمة Temporal التي تعني «صدغي» ولكنها في الوقت ذاته تستعمل لتدل على معنى «زمني» إذ أن هناك عمليات زمنية في الجسم تتم على مرور الوقت بالاضافة للعمليات الحيزية التي تجري في أحياز مختلفة من الجسم والأجدر إضافة المعنى الثاني للمصطلح الأول.

ولذلك يجب وضع المعنيين أو المعاني العلمية المتعددة التي يعنيها المصطلح المترجم بجانب بعضها البعض.

3 ــ تعريف المصطلحات وتنكيرها : من المعلوم أن كل المصطلحات الأجنبية تظهر في قواميسها بصيغة التنكير. ولكننا نجد في معاجمنا وفي مجموعات مصطلحات مجامعنا خلطا كبيرا في هذا الباب فقد تظهر بعضها معرفة وجاء البعض الآخر بصيغة النكرة وقد لا نجد سببا ظاهرا للحالتين. كما قد يعرف المصطلح في موضع ما وينكّر في موضع آخر من دون سبب واضح. فقد جاءت كلمتا «ليف» و«الليف» كمعنيين لكلمة Fibre في موضعين مختلفين وكذلك «جسر» و«الجسر» لكلمة Pons.

ولابد من وضع قاعدة لهذا الأمر، ويقترح تعريف الاسم عند دلالته على عضو أو نسيج معلوم ومحدد بذاته، وتنكيره عندما يدل على اسم عام غير محدد فنقول «عصب جلدي» عندما نترجم Cutaneous Nerve لأن هذه تسمية لعدد غير محدد من الأعصاب في الجسم، ولكننا نقول «العصب الوجهي» كمرادف لعصب الـ Facial Nerve لأنه عصب خاص محدد، كما نستعمل لفظ «الجسر» لـ Pons لأنه يدل في الطب على جزء معين ومحدد من الدماغ وليس هناك غيره، ولو استعمل هذا اللفظ ليدل على جسر آخر في مكان آخر يخصص عند ذاك أو يوصف بذلك الجزء.

وتعريف الاسم بالعربية يمكن أن يكون بإضافة ال التعريف وليس في ذلك أية مشكلة، ولكنه يمكن أن يكون أيضا بالاضافة إلى معرفة وفي هذه الحالة يكوّن تركيب لغوي يجوز أن يحتمل أكثر من معنى واحد وقد يؤدي إلى التباس في معنى المصطلح (كما أشار إلى ذلك د. عفيف دمشقية) [8] وخصوصا في حالتي إضافة مصدر الفعل المتعدي إلى ما قد يكون فاعلا أو مفعولا أو عند إضافة اسم موصوف إلى صفة منسوبة فهناك اختلاف بيّن بين «تأثير وَاسِم» و«تأثير الواسم» كمعنى لـ Marker Effect. وليست هناك صعوبة في إدراك الفرق بين اصطلاحي «غلاف عضلي» و«غلاف العضلة» كمعنيين لمصطلح Muscular Sheath، فالأول يعني غلاف مكون من نسيج عضلي يغطي بعض الأعضاء كالطحال مثلا، والثاني هو النسيج الليفي الذي يغطي العضلة نفسها وواضح أن الفرق بينهما كبير. وقد ترجم مصطلح Stratum Pyramidale بـ «الطبقة الهرمية» وهذا يعني أن الطبقة هرمية الشكل وهذا غير صحيح إذ أنه في الواقع يعني أن هذه الطبقة من القشرة المخية تحوي الخلايا الهرمية الشكل ولذا كان الأصح أن يترجم إلى «طبقة الهرميات». وعندما نترجم Nerve Stimulation «التنبيه العصبي» بدلا من «تنبيه العصب» اختلف المعنى كثيرا، فالأول يعني أن هناك تنبيها عصبيا لعضو ما (بدلا من أن يكون تنبيها كيميائيا أو هرمونيا مثلا)، والثاني يعني مجرد تنبيه العصب نفسه. وهناك اختلاف كبير في المعنيين مما تؤدي إلى البلبلة وسوء الفهم فيجب أن يحدد المقصود من الترجمة بوضوح. وبصورة عامة فإن التركيب الاضافي أليق وأدق وأخف على اللسان للسليقة العربية من غيره. وهناك الكثير من مثل هذه التراكيب التي قد تبعد المعنى عن دلالته الصحيحة المقصودة.

فمن الضروري أن يحدد المعنى المقصود ويصاغ التركيب بصيغة تحمل معنى واحدا ومستساغا.

4 ــ التذكير والتأنيث : هناك الكثير من المصطلحات التي تورد بصيغة التأنيث وأخرى تورد

بصيغة التذكير وهي تؤنث أحيانا في بعض المواضع وتذكر في مواضع أخرى من دون مبرر مقبول. فلو نظرنا مثلا إلى لفظي «ليف» و«لييف» اللذين وضعا لمصطلحي Fibre و Fibril على التوالي نجد أنهما قد أنثا عند إضافتهما فقيل «ليفة عصبية» و«لييفةعضلية». وقد جاءت كلمة «مستقبلة» بصيغة التأنيث كترجمة لمصطلح Receptor، بينما ترجم المصطلح بكلمة «متقبل» بصيغة التذكير مع أنهما مصطلحان يدلان على تركيب واحد، ولا داعي لتأنيث أحدهما تذكير الثاني. كما جاء نفس المصطلح بصيغة التذكير عندما استعمل لترجمة كلمة Teleceptor فسمي «مستقبلِ بعادي» ونجد مصطلحات عديدة أنثت أو ذكرت من دون مبرر واضح. والمقترح هو أن تُؤنث المصطلحات عندما تدل على اسم آلة أو خلية أو عضلة مثلا وتذكّر عندما تدل على اسم جهاز أو عصب أو سبيل عصبي مثلا. ويجب وضع قواعد ثابتة لذلك.

وبصورة عامة الأنسب هو تذكير المصطلح إلا في الحالات التي تدل على الأنوثة فالنسبة والاضافة إلى الاسم المذكر أبسط مما هي بالنسبة للأسماء المؤنثة كما يجب أن يكون هناك إنسجاما في تذكير المصطلح الواحد أو تأنيثه أينما ورد ولا يجوز تغييره في مختلف مواضعه من دون مبرر مقبول.

5 ــ استعمال نفس المرادف للمصطلح الأجنبي أينما ورد ضرورة أشار إليها كل الباحثين وأوصت بها المجامع المختصة وذلك ضروري للتقليل من الالتباس والتشويش، حتى عندما تكون المرادفات صحيحة. ولكن استعمل لفظ «معصم» كترجمة لـ Wrist، وبعد ذلك مباشرة استعمل «تدلي الرسغ» لمصطلح Wrist Drop. وقد استعملت «وذمة مخاطية» لمصطلح Myxedema من دون الاشارة إلى أن هذا اللفظ يستعمل أيضا ليعني «قصور الدرقية». وجاء المصطلح في موضع آخر بشكل «اعتلال عصبي بقصور الدرقية» كترجمة لـ Myxedema Neuropathy. وهناك مصطلحات قد تبدو لأول وهلة متشابهة ولكن لها استعمالات ودلالات مختلفة بعضا ما، مثلا ألفاظ Ophthalmic، Visual، Optic، Ocular، فيجب والحالة هذه وضع مقابل عربي واحد ودقيق لكل منها يستعمل تجاهه أينما ورد. وقد ترجم مصطلح Spinal أحيانا بكلمة «شوكي» وفي أحيان أخرى بكلمة «نخاعي» وذلك ناتج بلا شك عن وضع مصطلح «النخاع الشوكي» لمقابله الأجنبي Spinal cord الذي كان من الأفضل أن يترجم إلى «الحبل الشوكي» وعند ذلك يزول هذا الالتباس الذي يتكرر كثيرا.

6 ــ السوابق واللواحق : حظي موضوع السوابق واللواحق باهتمام عدد كبير من الباحثين في شؤون التعريب (أنظر مثلا 1، 6ــ10، 13ــ16)، ووضعوا معاني لها ومنهجية لتعريب أصنافها وضوابطها وأقسامها المختلفة، مما يغني المترجم ويعينه في مهمته. وبالرغم من ذلك فهناك صعوبات بالنسبة للسوابق واللواحق التي تحمل أكثر من معنى واحد وتسبب بعض الالتباس لمترجمي المصطلحات الطبية فلو أخذنا سابقة -Post مثلا فإنها قد تعني «بعد» أو «خلف» واللفظ الأول له مدلول ظرف زماني بينما للثاني مدلول ظرف مكاني أو حيزي. ولذلك لا يجوز تعريب مصطلح Postcentral Gyrus بـ «التلفيف بعد المركزي» كما ورد في بعض الترجمات بل يجب القول «خلف المركزي»، ويمكن القول ذاته عن السابقة Pre– التي تعني «أمام» أو «قبل» الأول منهما مكاني والثاني زماني. وهناك سوابق أخرى لها دلالات متشابهة ولكنها مختلفة، مثلا Sub– التي تعني «تحت» أو «دون» أو «أقل» فنقول «تحت الجلد» لـ Subcutaneous و«دون الحاد» لـ Subacute وكذلك بالنسبة للسابقة Super– فهي لا تعني فقط «فوق» (كما ظهرت في معظم النشريات) بل هي

تعني أيضا «فرط» أو «إضافي» فنقول «تبعيد مفرط» للفظ Superabduction و«خمج إضافي» لـ Superinfection، ولذلك نرى أن الأصح أن يقال «فرط الأنا» لـ Superego بدلا من «الأنا العلوية». ومن الصعوبات الخاصة في بعض اللواصق التي تدل على عدة معان هي سابقة –Para فالأصح فيها أن نقول «نظير العقدة» للفظ Paraganglion و«جنيب الندف» للفظ Paraflocculus. وهناك خلط كبير في ترجمة المصطلحات التي تبدأ بـ –Myelo فهذه السابقة لا تعني فقط «نخاعي» أو «نقوي»، والفرق بينهما كبير، بل أنها قد تسبق اسم النخاعين أو قد تدل أحيانا على المادة النخاعينية للجهاز العصبي أو قد تسبق المصطلحات الدالة على النخاع الشوكي أو النخاع المستطيل.

ولذلك فلابد من التدقيق في المعنى المقصود من المصطلح الذي تلتصق به إحدى اللواصق والتأكد من معناه الدقيق الصحيح قبل ترجمته.

7 ــ المصطلح العربي الأصيل : يؤكد الجميع على ضرورة استعمال المصطلح العربي الأصيل بدلا من المصطلحات الحديثة الشائعة أو المحلية. وإذ نتفق مع هذا الرأي لابد من التحذير من الافراط فيه أو التعجيل به. فخذ مثلا كلمة «ساتل» لتدل على كلمة Satellite بدلا من كلمة «تابع» الشائعة والمستعملة في كثير من النشريات وفي وسائل الاعلام، فبالرغم من أن كلمة «ساتل» عربية صحيحة ولها نفس دلالة مقابلها الأجنبي ولكنها غير شائعة أو معروفة. كما وردت في مجموعات المصطلحات الطبية العديدة أمثال هذه الكلمات العربية الأصيلة ولكنها غريبة ومهجورة مثل «علز وقبط ولجز وعفج و الموتة والمعثكلة والصفر والملقوة » وهناك كثير غيرها. إن كلمة «عفج» مثلا صحيحة وأصيلة ولكننا جميعا تعلمنا منذ دراستنا الابتدائية أن الـ Duodenum يسمى بالعربية «الاثنى عشري» لأن طوله يقارب الاثنتا عشرة بوصة تقريبا وهي الترجمة الحرفية لهذا المصطلح. ففي الوقت الذي أصبح ضروريا إحياء المفردات العربية والاسلامية الأصيلة المستقاة من القرآن الكريم، دليل لغتنا، ومن السنة النبوية الشريفة، صار ضروريا إيراد المصطلحات العربية الأصيلة ووضعها بجنب المصطلحات الشائعة كي يعتادها الجميع وتتداول بينهم فالاستعمال هو خير غربال لانتقاء الأصلح والأكثر قبولا.

ولابد من التأكيد هنا بأن علينا سبر ومسح كل مفردات القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة ومصطلحاتنا التراثية التي لها دلالات طبية أو علمية ونشرها في مسارد مبوبة ليلجأ إليها المصطلحيون عند وضع مصطلحات جديدة أو عند تبديل المصطلحات الشائعة غير المستساغة. وبأية حال من الأحوال يجب التخلص من الكلمات العامية أو الاقليمية التي تتداول في قطر ما ولا تستعمل في باقي أقسام العالم العربي. وفي نفس الوقت من الضروري عدم استعمال الكلمات العامة التي أصبحت لها مفاهيم شائعة.

8 ــ تعريب المصطلحات الأجنبية : هناك الكثير مما قيل ويقال حول هذا الموضوع ومدى اللجوء إليه وأسلوب تنفيذه. هناك أسس مقبولة من الجميع أو من معظم الباحثين ومن الممكن اختصارها بما يلي :

أ ــ تعريب أسماء الاعلام بصيغتها الأصيلة.

ب ــ تعريب المصطلحات الشائعة عالميا بصيغتهاالعامة أو بتحويرها بشكل يلائم القواعد العربية ويقبلها الذوق.

ج ــ تعريب الكلمات الأجنبية وكتابتها بنفس صيغة تلفظها من قبل أصحابها.

د ـــ تجوّز الكثيرون استعمال الحروف الأعجمية «پ، چ، ڤ» لتقريب تلفظ الكلمات لما يشابه لفظها الأجنبي.

هـ ـــ يجوِّز البعض تعريب المختصرات العلمية بصيغة تلفظها بالأجنبية.

و ـــ يفضل في جميع الحالات استعمال لفظ عربي لمقابله الأجنبي ولا يلجأ إلى التعريب إلا عند تعذر إيجاد مرادف عربي صحيح وسلس ومقبول.

وعند التطبيق نلاحظ الكثير من الشذوذ عن هذه القواعد الرئيسية كما نورده في الأمثلة التالية :

أ ـــ نرى مثلا تعريب الكثير من الكلمات التي يمكن إيجاد مرادفات عربية أصيلة وصحيحة ومقبولة لها فنرى مثلا كلمة «ليترغي» استعملت كتعريب لمصطلح Lethargy بدلا من كلمة «وسن» ونجد مثلا كلمات «هسترة» و«هستيرية» و«هيستيريا» و«هستريا» كتعريب لكلمة Hysteria بدلا من «هراء». واستعملت كلمات «فيزيولوجي، فيزيولوجيا، فسيولوجي، فسيولوجيا، فسلجة» كمرادفات لاسم علم الـ Physiology في الوقت الذي استعمل مصطلحا «علم وظائف الأعضاء وعلم الغريزة» من قبل بعض المجامع. وكان من الممكن استعمال اسم «علم الوظائف» كمصطلح مختصر واضح يدل على حقل اختصاص هذا العلم، وقد يكون مناسبا اللجوء إلى لفظ قرآني وتسميته «علم الفطرة»، وهذه كلمة لها مدلول مقبول يدل على وظائف الجسم وأنسجته وخلاياه الطبيعية وهو المقصود من الاصطلاح الأجنبي. كما استعملت كلمة «زيجوت» بدلا من مشيج و«جاميت» بدلا من «عرس» و«كروموسوم» بدلا من «صبغي» و«كروماتين» بدلا من «صبغين». وهناك الكثير من مثل هذه التعريبات غير المبررة وكلها تدل على قلة معرفتنا بمفردات قرآننا الكريم والسنة الشريفة وتراثنا اللغوي الثري.

ب ـــ يظهر تباين كبير بين صيغ كتابة الأسماء والمصطلحات المعربة من قبل مختلف الجهات، فالبعض يعتمد على ضبط الكلمات بتشكيلها، والبعض الآخر يستعمل حروف العلة المقابلة كالألف والياء والواو، والبعض يكتب حرف الجيم على شكل «ك» أو على شكل «غ» أو يبقيه على شكل «ج» كمقابل لحرف الـ «G» الانكليزي، والبعض يكتب حرف التاء على شكل «ط» أو يبقيه على شكل «ت» مقابل حرف الـ «T» الأجنبي ويكتب حرف الثاء على شكل «ت» أو على شكل «ث» مقابل حرفي «Th» الأجنبيان، والبعض يحور الكلمات ويصيغها صياغة قياسية والبعض الآخر يبقيها كما هي من دون تحوير. وأدت هذه الكتابات المتباينة إلى ظهور صيغ غريبة أحيانا وبعيدة في أغلب الأحيان عن صيغها الأجنبية، مما أدت إلى إرباك مستعمليها من المختصين والطلاب. وقد حدث مؤخرا في إحدى الكليات الطبية العربية أن لفظ أستاذ أجنبي مصطلح Golgi Body على شكل «كولجي» كما يلفظ بلغته الأصلية، فاعترض الطلاب وقالوا عليه أن يلفظه «كولكي» فاستغرب الأستاذ وبعد مناقشتهم اعترفوا بأن هذه هي الصيغة التي تعلموا بها هذا المصطلح في دراستهم الثانوية

ومن أستاذ آخر عربي، وبالرغم من محاولاته في تصحيح لفظهم للمصطلح بشكله الصحيح فلم ينجح إلا مع القليلين منهم.

إن هذا الخلط هو نتيجة حتمية لكتابة المصطلح بغير الصيغة التي ينطقه بها أهلوه، وفي ذلك أخطار كبيرة وتعويق خطير لتنسيق مصطلحاتنا العربية إذ يظهر نفس المصطلح بأشكال مختلفة في الكتب التي تؤلف أو تترجم في مختلف البلدان العربية فيصعب أمر تداولها بين كل الطلاب العرب. كما أنه يعوّد الطلاب على تلفظ المصطلحات بشكل مغلوط يصعب تصحيحه فيما بعد، حتى إذا ما تابعوا دراساتهم العالية والتخصصية في غير بلدانهم وجدوا صعوبة كبيرة في تقويم لفظهم الخاطىء الذي تعودوا عليه. كما أنهم لن يتمكنوا من فهمه إذا ما سمعوه بلفظه الصحيح أو أن يتمكنوا من تلفظ هذه الكلمات المعربة تعريبا خاطئا بطريقة صحيحة في المؤتمرات والمناقشات العالمية.

وباليتنا استمعنا إلى أجنبي يتلفظ المصطلحات بلغته ونكتبها كما نسمعها منه. فلن نجد عند ذلك مسوغا لتعريب حرف الجيم وكتابته على شكل «غ» أو «ك» أو «ج» إلا إذا تلفظ كذلك من قبله، فلا يسوغ لنا أن نقول «غلوبين» في الوقت الذي يلفظه أهلوه «كلوبين» ولا أن نقول «طرطرات» في الوقت الذي يلفظ في موطنه «تارتريت» ولا أن نقول «ترمبين» عندما يكون لفظه الأجنبي «ثرومبين» ولا أن نكتب «بلم» بدلا من «بلوم» كما تلفظ الكلمة الأجنبية Bloom، ولا أن نكتب «ميوزين» بدلا من «مايوسين».

وتضبط كلمات اللغة العربية عادة بالتشكيل ولكننا لا نستعمل في كل كتبنا العلمية العامة وفي كل وسائل إعلامنا الضمة والفتحة والكسرة والسكون، ولذا يصبح من الضروري علينا أن نستعمل أحرف العلة لكتابة هذه المصطلحات بشكلها الصحيح وبالطريقة التي تلفظ بها في بلدانها ولا بأس من إضافة حرف أو حرفين للكلمة لتظهر بشكلها الصحيح فتطويلها مقبول إذا كانت الدقة هي غايتنا.

ولا تخفى الاختلافات الكبيرة في طريقة تلفظ بعض الأحرف الأجنبية وحتى العربية في مختلف بلداننا العربية، إذ يلفظ حرف التاء أقرب إلى الطاء في بلدان المغرب العربي، ويلفظ حرف الجيم أقرب إلى الكاف في مصر، كما يلفظ فيها الثاء والذال أحيانا أقرب إلى الزاي، وهذا ما يؤدي إلى تباين تلفظنا لهذه المصطلحات. وليس هناك من سبيل لتنسيق تعريب مصطلحاتنا المعربة إلا بكتابتها بالطريقة التي يلفظها بها أهلوها. ولكي نكون أكثر دقة من الضروري استعمال الأحرف الأعجمية (پ. چ. ڤ) وإن اقتضى الأمر أيضا الأحرف (گ. ژ).

نستدل مما تقدم أن علينا أن نكتب الكلمات المعربة ونلفظها بالطريقة التي ينطقها بها أهلوها وباستعمال الحروف الأعجمية، وعلينا أن نلجأ إلى ضبطها باستعمال حروف العلة ولا نعتمد بضبطها على التشكيل فقط.

هذا هو السبيل الوحيد لتنسيق مصطلحاتنا المعربة وتسهيل استعمالها في مختلف البلدان العربية بيسر وسهولة وهو الأسلوب الوحيد الذي ينقذنا من الفوضى التي نعانيها في هذا الخصوص. ومن واجب المجامع اللغوية والعلمية العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي أن تولي الأمر ما يستحقه من الاهتمام وتضع التوصيات والمنهجيات والقواعد للعمل بها من قبل الجميع دون شذوذ أو انحراف.

ج — من الممكن تعريب مختصرات المصطلحات الأجنبية وكتابتها بالطريقة التي تلفظ بها بلغاتها فنقول «دنا، رنا، ريم، كابا، دوبا، راس، أراس، إيدز» للمختصرات DNA, RNA, REM, GABA, DOPA, RAS, ARAS, AIDS على التوالي.

9 — تحميل المصطلح العلمي أكثر من معناه المقصود : يلاحظ أحيانا تحميل بعض المصطلحات المترجمة معنى أو معاني إضافية أكثر من المقصود من مقابلاتها الأجنبية، فقد ترجمت مثلا كلمة Supraliminal بـ «فوق عتبة الادراك» بينما في الواقع أنها تعني «فوق الصغري أو الأصغري» وهو يصف ما قد يليه من أسماء، فهو يمكن أن يكون منبه فوق الصغري أو استجابة فوق الصغرية أو إدراك فوق الصغري. كما ترجم مصطلح Sympathetic Tone بأنه «تغلب الودي» والواقع أنه يدل على مجرد «توتر الودي» ويمكن أن يكون هذا عاليا ليتغلب على توتر اللاودي كما يمكن أن يكون واطئا فلا يتغلب عليه أو على غيره. ولا يوجد مبرر لترجمة كلمة Subthalamus إلى «تحت مهاد المخ» إذ يكفي أن نقول «تحت المهاد»، ولا داعي لترجمة Columnar Layer إلى «طبقة العصي والمخاريط» ويكفي أن نقول أنها «طبقة الاسطوانيات» التي يعنيها المصطلح الأجنبي واختصارا لـ «طبقة الخلايا الاسطوانية» وبدلا من «الطبقة الأسطوانية».

10 — اختصار المصطلح العربي : من المستحسن طبعا استعمال كلمة واحدة للمصطلح، فاستعمال لفظ «المقلة» مقابل Bulbus Oculi ولفظ «الحوص» للمصطلح Blepharophimosis و«سلاق» لـ Blepharitic ciliaris و«القبل» لمصطلح Convergence Squint تسهل عملية الترجمة، على أن تكون مثل هذه الكلمات معروفة ومقبولة للجميع.

ولا يجب التبذير في استعمال كلمات فائضة إذا كان المعنى يستقيم من دونها، فمثلا ليس هناك من سبب لاستعمال مصطلح «عمى اللون الأخضر» للفظ Achloropsia بينما يكفينا قول «عمى الأخضر» ليؤدي المعنى ذاته. كما لا نرى داعيا للقول «عصب أدريناليّ الفعل» عندما يكفينا القول « عصب أدريناليّ» للفظ Adrenergic Nerve الذي يفي بالمرام. إن في هذا الاجتزاء فائدة اختصار المصطلح وتسهيل حفظه وكتابته.

ولذا فمن المستحسن إجتزاء المصطلح لأقصر حد يؤدي الحد الأدنى من معنى المصطلح المترجم، وليس بالضرورة أن يؤدي كل معناه كاملا.

وبالطبع يجب أن لا يكون هذا الاجتزاءللمصطلح على حساب وضوح مفهومه.

11 — المصطلحات التركيبية متعددة الأشكال والصيغ، وقد يطول بعضها ليصف أكثر من منطقة تشريحية واحدة أو صفة وظيفية. ويرى أن الأسهل للفهم أن نبدأ بالوصف أو الاسم العام ثم يليه الاسم أو الوصف الخاص، كما يستحسن ذكر الصفة أو الموضع التشريحي قبل الصفة الوظيفية التي ترد في المصطلح، فنقول مثلا «عصب جلدي حسي» للمصطلح Cutaneous Sensory Nerve، ونقول «عضلة جسدية حركية» لـ Somatic Motor Nerve.

12 — وضع المصطلح العربي : توضع المصطلحات العربية بالاستعانة بالقواعد والتوصيات والقرارات والارشادات الصادرة عن المجامع اللغوية والجهات العديدة المختصة وبالاستعانة بكل ما توفره اللغة العربية المطواعة من قواعد ومناهج في القياس والاشتقاق والتركيب والمجاز والاقتراض والاقتباس

اللفظي والتضمين والنحت (على أن لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى وعلى أن يكون اللفظ المكون مقبولا ومستساغا وغير نافر) وفي كل الأحوال يجب أن تتبع منهجية منسقة ومنتظمة ومتجانسة من دون تذبذب أو انحراف، وعلى أن يكون هناك انسجام تام بين المصطلح الموضوع ومرادفه الأجنبي، سواء في أحوال الاسم وأنواعه وصيغ الفعل وتصريفاته وفي صيغ الأفاعيل والمفاعيل وما شاكل كل ذلك، وأن يكون المصطلح المترجم مطابقا للأجنبي في تسلسله ومضمونه فقد ترجم خطأ مصطلح Temporopontine Tract بـ «السبيل الجسري الصدغي» وهذا هو عكس الاتجاه المقصود بالمصطلح الأجنبي فكان من الواجب إذاً أن يترجم المصطلح إلى «السبيل الصدغي الجسري»، كما لا يجوز ترجمة مصطلح Corticospinal Tract بـ «السبيل الشوكي القشري» وهذا هو غير السبيل المقصود بالمصطلح الذي يعني «السبيل القشري الشوكي». وفي الواقع هناك «سبيل شوكي قشري» ولكنه يقابل المصطلح Spinocortical Tract. وهناك حالات عديدة لم يلتزم فيها بهذه الدقة اللغوية في الترجمة ومن الضروري الالتفات إليها وتجنبها توخيا للدقة العلمية التي نحرص عليها.

بعد هذا العرض لأهم الأسس المنهجية — برأينا — لوضع المصطلحات الطبية لابد من كلمة أخيرة، نختم بها هذه الدراسة، عن المعاجم العلمية والطبية المتوفرة وملاحظاتنا حول ما تحويه من مصطلحات، وخصوصا تلك الصادرة عن مجامعنا اللغوية ومنظماتنا وهيئاتنا العلمية. المهم أولا هو تنسيق مصطلحات المعجم الموحد للتعليم العام [13] الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بحيث توحد مصطلحات جميع أجزائه ويشذب المتنافر منها والمتباين كي لا يلتبس الأمر على الطالب فيتعلم مصطلحين مختلفين في علمين متجاورين بصورتين متغايرتين. ومن ثم من الضروري تنسيق مصطلحاته مع تلك الموضوعة في المعاجم الاختصاصية، كالمعجم الطبي الموحد [1] كي لا يجبر الطالب على تعلم مصطلحات متباينة عند تدرجه في مراحل دراسته.

وقد جاء إصدار المعجم الطبي الموحد [1] من قبل مجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب ومؤسسة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خطوة مباركة وموفقة جدا، وقد سبق أن أبدينا رأينا فيه [17] إذ أنه حوى معظم المصطلحات الطبية العامة، ولكن — ويا للأسف الشديد — لم يوزع التوزيع المناسب الذي يستحقه ليكون بمتناول كل الأطباء والطلاب، إذ لا يعرف عنه إلا القليلون ولم يتداول بين الدارسين إلا نادرا ولا يعثر عليه الطلبة في المكتبات لاقتنائه، وحبذا لو سعت المنظمة على تشجيع توزيعه بين الطلاب ليقتنوه عند بدء دراستهم الطبية مع ما يستلمونه من كتب أخرى.

وقد حوى هذا المعجم مصطلحات مدروسة بعناية فائقة وحسب منهجية مركزة وسليمة، ولذلك لا يحبذ وضع أية مصطلحات إضافية بديلة إلا عند الضرورة القصوى، وباليتنا جميعا إلتزمنا بمصطلحاته واستعملناها وعممناها في كل نشرياتنا حرصا على تنسيق وانسجام مصطلحاتنا الطبية وتفاديا للفوضى المصطلحية. ومما يؤلم حقا هو ظهور مصطلحات جديدة مغايرة لمرادفاتها في المعجم الطبي الموحد وضعت من قبل العديد من الجهات وحتى من قبل بعض الأساتذة اللذين اشتركوا أنفسهم في وضع مصطلحات هذا المعجم النفيس. لا يخفى أن مثل هذه التغييرات تهز من ثبات هذه المصطلحات فيجب أن نتفاداها، إذ أن علينا أن نعززها ونرسخها حتى تستقر لحين تعريب التعليم الطبي في كل كلياتنا الطبية وشيوع هذه المصطلحات،

فالاستعمال هو الذي يغربلها ويبقي الصالح منها وينبذ النافر.

وبالرغم مما تقدم فإننا لازلنا نحتاج أن نضيف إلى هذه الثروة مجموعات إضافية أخرى في فروع العلوم الطبية الاختصاصية وخصوصا تلك التي يفتقر إليها هذا المعجم الاساسي.

كما أننا بعد هذه المرحلة الأولية أصبحنا بحاجة إلى معجم طبي جامع كبير، يحوي بالاضافة إلى مفردات المصطلحات تعاريفها وشروحها على أن يوضع بعناية فائقة من قبل اختصاصيين متمرسين في مختلف فروع العلوم الطبية وعلى أن تشرف على وضعه ونشره وتوزيعه منظماتنا المهتمة بالتعريب وهذه خطوة ملحة لابد وأن تسبق تعريب التعليم الطبي آملا أن تنال كل الاهتمام والرعاية، وبذلك نكون قد خطونا الخطوة الأخيرة تمهيدا لتعريب تعليمنا الطبي في كل بلادنا العربية وهو مقبل في الأجل القريب إنشاء الله وكل آت قريب.

المراجـع

1 — محمد هيثم الخياط : المعجم الطبي الموحد، الطبعة الثالثة، ميدلفارت سويسرا، 1983.

2 — مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلدات 1 — 24، القاهرة، 1935 — 1985.

3 — مجمع اللغة العربية بالقاهرة : معجم المصطلحات الطبية، الجزء الأول، القاهرة، 1985

4 — المجمع العلمي العراقي : مصطلحات علمية، الأقسام 1 — 3، بغداد، 1982 — 1985

5 — مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة القرارات العلمية، القاهرة، 1963

6 — أحمد شفيق الخطيب : منهجية وضع المصطلحات الجديدة، شؤون عربية، تونس، م 13، 145 — 153، 1983.

7 — وجيه حمد عبد الرحمن : اللغة ووضع المصطلح الجديد، اللسان العربي، م 19، 67 — 78، 1982.

8 — عفيف دمشقية : احتمالات المعاني في بعض التراكيب العربية، اللسان العربي، م 19، 79 — 93، 1982.

9 — أحمد شفيق الخطيب : منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة مع ترجمة للسوابق واللواحق، اللسان العربي، م 19، 37 — 66، 1982.

10 — أنور محمد الخطيب : منهج بناء المصطلح العلمي العربي، اللسان العربي م 20، 85 — 101، 1983.

11 — جميل الملائكة : في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه، اللسان العربي، م 24، 35 — 40، 1985.

12 — وجيه حمد عبد الرحمن : منهجية وضع المصطلحات الجديدة في الميزان، اللسان العربي، م 24، 57 — 66، 1985.

13 — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام، الأجزاء 1 — 13، 1976 — 1984.

14 — محمد المغنم : مسألة السوابق واللواحق وطرق معالجتها، اللسان العربي م 24، 95 — 102، 1985

15 — اتحاد الأطباء العرب : السوابق واللواحق، اللسان العربي، م 24، 189 — 201، 1985.

16 — محمد رشاد الحمزاوي : الصدور واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها إلى العربية الحديثة، اللسان العربي، م 12، 121 — 138، 1975.

17 — صادق افلالي : ملاحظات حول المعجم الطبي الموحد، اللسان العربي، م 23، 76 — 82، 1983.